أم أيمن

الحبشية

(الأم الحنون)

أم أيمن الحبشية

(الأم الحنون)

من هي؟!

إنها أم أيمن الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو، ورثها النبي ﷺ من أبيه مع خمسة جمال وغنم، وقد كانت أسيرة في السبي الذي كان في جيش أبرهة، فأخذها عبد المطلب ثم أعتقها النبي ﷺ عندما تزوج بخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

«هذه بقية أهل بيتي»:

من أوائل المواقف الوضيئة لأم أيمن موقفها الرائع يوم إن ماتت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، فقد توفيت آمنة بالأبواء[1]، وهي عائدة من زيارة أخواله بني النجار بالمدينة المنورة، وكانت أم أيمن بصحبتها في هذه الزيارة.

وفي تلك اللحظات الحرجة الأليمة، ظهرت أم أيمن بعطفها وبرّها برسول الله ﷺ الذي كان طفلاً في السادسة، وعادت به إلىٰ مكة وحيدًا يتيمًا حزينًا علىٰ فراق أمه أمنة.

وفي سجلّ المودة الإنسانية النّاصع، تبرز أم أيمن لتسجل أروع الأعمال في حضانة النبي ﷺ، وعنايتها الفائقة به.

وقد نشأ رسول الله ﷺ وهو يرىٰ أم أيمن تتحفه وتكرمه وتبرُّه؛ ولهذا كان يقول لها: (**يا أمّه**)، وإذا نظر إليها قال: (**هذه بقية أهل بيتي**)[2].

مشاركة النبي في الأفراح والأحزان:

كانت أم أيمن تفرح بأي شيء يدخل السرور والسعادة علىٰ قلب النبي ﷺ، وتحزن إذا حدث ما يدخل الحزن علىٰ قلبه، فهي تشارك الحبيب فرحته بزواج (**علي**) من (**فاطمة**) رضي الله عنهما، فتقوم مع أسماء بنت عميس رضي الله عنها بتجهيز فاطمة لزوجها علي.

---

(1) قرية بين مكة والمدينة.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 16/ 201، رقم (7012)، عن شيخ من بني سعد بن بكر.

وها هي عند وفاة زينب بنت الرسول ﷺ تقوم بالمعاونة في الغسل والتكفين، وقد امتلأ قلبها حزنًا لفراقها.

بل وها هي مرة أخرىٰ تقوم وتدافع عن أمنا عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.

بركة تحدثنا عن بركة الحبيب:

كانت أم أيمن تحدث عن هذه البركه التي وجدتها في محمد ﷺ وهو صغير فتقول: **(ما رأيت رسول الله ﷺ شكا جوعًا قط ولاعطشًا، فكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: لا أريد أنا شبعان)**.

أزواجها وأولادها:

عندما تزوج النبي ﷺ خديجة أعتق مولاته أم أيمن، فتزوجها عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت له أيمن بن عبيد، لكن عبيد أبىٰ إن يسلم ففرق الإسلام بينهما، ثم تزوجها زيد بن حارثة ليالي بعد النبي ﷺ، فولدت له أسامة بن زيد حبّ رسول الله وابن حبه رضي الله عنهما.

وفي هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها، ويذكر فضلها ويقول: **(أم أيمن أمي بعد أمي)**[1].

ولما قام النبي ﷺ يدعو إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ الإسلام، كانت أم أيمن من السابقات إلىٰ التصديقه، ذكر صاحب السيرة الحلبية نقلا ً عن ابن كثير قوله:الظاهر إن أهل بيته ﷺ آمنوا قبل أحد، خديجة وزيد وزوجة زيد وأم أيمن وعلي رضي الله عنهم.

وينبغي إن تكون أم أيمن سابقة في الإسلام علىٰ من سواها من نساء الصحابه، لما عهدته من الإشراقات النبوية قبل المبعث. قال عنها ابن الأثير: أسلمت قديمًا أول الإسلام.

جهادها:

1- وكغيرها من أوائل المؤمنين والمؤمنات لاقت العذاب والأذىٰ من قريش بسبب إسلامها، فهاجرت الهجرتين إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة.

2- ولما كانت غزوة أحد خرجت أم أيمن مع من خرج من النساء لمداواة الجرحىٰ، وسقاية الذين يجاهدون في سبيل الله. وكان لها موقف مشرّف في يوم أحد؛وذلك

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير 24/ 351، رقم (871)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عندما خالف الرماة أمر الرسول، واستطاع المشركون إن يقتلوا عددًا كبيرًا من الصحابة، وانهزم البعض الآخر، فقامت أم أيمن تحثي في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك، ثم اتجهت نحو رسول الله تستطلع أخباره في نسوة معها حتىٰ اطمأنت علىٰ سلامته، فحمدت الله عز وجل.

3- وفي غزوة خيبر خرجت أم أيمن لتقدم ما تستطيع أن تقدمه لدين الله جل وعلا. ولكن ابنها أيمن ﷺ قد تخلف عن غزوة خيبر لعذر منعه من الخروج، فظنت أنه جبن فعيّرته بالجبن والخوف، ولم تعرف أنه لم يستطع الخروج لمرض فرسه.

4- ويوم حنين كانت في ركب المجاهدين مع ولديها أيمن وأسامة رضي الله عنهما، وكان ولداها من المائة الصابرة التي ثبتت حول النبي ﷺ يومئذٍ، وسقط أيمن شهيدًا، ولم يزدها استشهاده إلا إيمانًا وتسليمًا.

5- وفي مجال الصبر والتسليم لقضاء الله عز وجل كانت أم أيمن ممن ضربن أروع الأمثلة في ذلك، ففي سريّة مؤتة؛ كان زوجها زيد بن الحارث أميرًا علىٰ الجيش الغازي في سبيل الله، وكان أول الشهداء، وتلقت نبأ استشهاده بنفس راضية صابرة، واحتسبته عند الكريم المتعال.

معجزة لأم أيمن:

عن عثمان بن القاسم قال: «**لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت وليس معها ماء وهيٰ صائمة، وجهدت فدلىٰ عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش....ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت**».

مكانتها ومزاح النبي معها:

لأم أيمن رضي الله عنها مكانة عظيمة وقدر كبير عند النبي ﷺ، يكفيها من الفضل أنه كان يقول فيها: (**من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**)[1]. وهذا مما عظّمها في عين زيد بن حارثة فتزوجها رضي الله عنها.

وما زال رسول الله ﷺ يناديها (**يا أمّه... يا أمّه**) كلما رآها أو تحدث إليها، وكان يصغي اليها، ويعطف عليها ويأنس بها ويمازحها؛ فقد سمعها في يوم حنين تدعو الله

(1) رواه ابن عساكر عن سفيان بن عقبة مرسلاً، وابن سعد في الطبقات 8/ 224.

عز وجل بلكنتها الأعجمية: (**سبّت الله أقدامكم**)، فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي إليها ويداعبها بين صهيل الخيول وصليل السيوف، وأقبل عليها يقول: (**اسكتي يا أم أيمن، فإنك عسراء اللسان**)[1].

ويبدو أن اللكنه الأعجمية عند أم أيمن قد تحكمت في لسانها، وأعاقتها عن النطق الصحيح، من ذلك مارواه أبو جعفر الباقر قال: كانت أم أيمن إذا دخلت علىٰ النبي ﷺ قالت: سلام لا عليكم – بدلًا من سلام الله عليكم – فرخّص لها أن تقول: السّلام.

وعن أنس قال: انطلق بنا رسول الله ﷺ إلىٰ أم أيمن فانطلقت معه، فناولته إنـاء فيه شراب، فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يرده. فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه[2].

قال الإمام النووي: معنىٰ الحديث: أن النبي ﷺ رد الشراب عليها إما لصيام، وإما لغير ذلك، فغضبت وتكلمت بالإنكار والغضب، وكانت تدل – تتدلل – عليه لكونها حضنته[3].

وفاة الحبيب :

لما توفي رسول الله ﷺ، وقفت أم أيمن والحزن يملأ قلبها، والدموع تفيض من عينيها، فجاشت عاطفتها البريئة، ورثته بقصيدة جميلة.

ومن المثير والممتع أن تنطق أم أيمن بالشعر والحكمة وهي عسراء اللسان، ولكن هذا لم يؤثر علىٰ عقلها وقلبها وحكمتها، وفي هذا دليل علىٰ العلم النبوي الذي تأثرت به من رسول الله.

ومما يدل علىٰ علمها وفضلها وعقلها الوافر ما أخرجه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله لعمر: انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله يزورها، فلما انتهينا إليها بكت.

فقال لها: مايبكيك؟ ماعند الله خير لرسوله.

فقال: ما أبكي ألّا أكون أعلم أن عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

---

(1) أخرجه ابن سعد عن أبي الحويرث 8/ 225.

(2) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2453)، باب من فضل أم أيمن رضي الله عنها، من حديث أنس رضي الله عنه.

(3) انظر: شرح النووي علىٰ صحيح مسلم 16/ 9.

فهيجتهما علىٰ البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

وظلت أم أيمن تحظىٰ بالمكانة الكبيرة في حياتها، وبعد موتها، وكذلك أحفادها الذين ينسبون إلىٰ ولاء الرسول، فكان يقول لهم: بنو الحب.

وداعًا أيتها الرؤوم:

ومع وداع أم أيمن رضي الله عنها تعالوا نذكر فضيلة باهرة لها، وهي رواية الحديث؛ فقد روت عن النبي خمسة أحاديث، وروىٰ عنها أنس بن مالك، وحنش بن عبدالله الصنعاني، وأبو يزيد المدني.

وفاتها:

أمّا عن وفاة أم أيمن، فقال الذهبي وابن حجر رحمهما الله أنها توفيت بعد النبي بخمسة أشهر.

رضي الله عن أم أيمن من أهل الجنة، وجعلها في أصحلب اليمين.

ملامح شخصية أم أيمن:

1 – الحنان والعطف والرحمة فقد كانت كذلك مع النبي وهو صغير رغم أنها لم تكن تعرف نبوته بعد.

وكذلك رقة قلبها عندما بكت لانقطاع الوحىٰ من السماء – وأعتقد أن أحدًا لم يفكر في هذا قبلها.

2 – الفطرة السليمة التي جعلتها تسارع إلىٰ الإسلام.

3 – خفة الظل التي تبدو في مزاحها مع النبي ﷺ وأصحابه وهي تبدو لىٰ شخصية بسيطة لطيفة مرحة.

4 – الصبر والرضا بقضاء الله وأنا أتصور معاناتها من رق العبودية من قبل ثم جهادها بعد ذلك في ظل الإسلام.

خواطر وعبر:

1 – الفطرة السليمة تجعل صاحبها يتفانىٰ في تقديم المعروف بحب دون انتظار المقابل.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2454)، باب من فضل أم أيمن رضي الله عنها، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

2 – البساطة واللطف في التعامل مع الآخرين سمة أصيلة فيمن تحلىٰ بخلق الاسلام

3 – التسليم لقضاء الله والرضا به ربًا وإلهًا يذلل عقبات الحياة.

* * *